الباب الرابع

وقفتان داخل التراث من خلال كتابين

ويتضمن هذا الباب الفصلين الآتيين:

الفصل الأول: كتاب الحروف للفارابى

وقفة الانفتاح والانطلاق نحو المستقبل.

الفصل الثانى: كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى

وقفة التقليد واللجوء إلى تكفير الفلاسفة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

كتاب الحروف للفارابى

وقفة الانفتاح والانطلاق نحو المستقبل

ويتضمن هذا الفصل العناصر والنقاط التالية:

١ ـ تحليل أبواب وفصول الكتاب .

٢ ـ الانفتاح على الثقافات اليونانية .

٣ ـ مدى تأثيره فى بلورة أفكار العديد من الفلاسفة والمفكرين .

obeikandl.com

obeikandl.com

كتاب الحروف للفارابى
وقفة الانفتاح والانطلاق نحو المستقبل

يعتبر الفارابى من أعظم فلاسفة المشرق العربى، وأكثر الفلاسفة الذين أتوا بعده ـ سواء فى المشرق العربى أو فى المغرب الإسلامى ـ قد تأثروا بالآراء التى قال بها هذا الفيلسوف، فنحن نجد اسم الفارابى يتردد بلا انقطاع طوال تاريخ الفكر الإسلامى، بل الفكر الفلسفى العالمى.

ويمكن القول بأن أهمية الفارابى ترجع إلى الكتب الخالدة التى تركها لنا وإذا كان قد ترك لنا كتبا كثيرة فإن كتاب (الحروف) من أهم الكتب التى تركها لنا هذا الفيلسوف وأعمقها، فلا يذكر اسم الفارابى إلا ويذكر معه كتاب (الحروف) إذ أن هذا الكتاب يجعلنا نقدر الفارابى تقديرا كبيرا نظرا لأنه يعد أكثر كتبه دقة وأصالة، إذ أننا نجد فيه بالإضافة إلى البحوث الفلسفية بحوثا فى اللغة وصلتها بالمجتمع وتحديدا دقيقا لمعانى المصطلحات التى تستخدم فى كثير من العلوم.

ومن هنا فإن الدارس لفلسفة الفارابى يجد أنه من الضرورى بالنسبة له دراسة هذا الكتاب دراسة دقيقة قبل أن يتكلم عن أى موضوع من الموضوعات التى بحث فيها الفارابى[1].

ونود أن نشير إشارة موجزة إلى النسخة الخطية لهذا الكتاب وتحقيقها، ثم نعرض لأبرز الموضوعات التى تضمنها هذا الكتاب والقيمة الأساسية له وذلك

(١) يمكن الرجوع إلى العديد من الكتابات فى فلسفة اللغة على وجه الخصوص، ومن بينها كتابات د. زكى نجيب محمود، ود. محمود زيدان، ود. عثمان أمين، ود. زينب عفيفى شاكر فى كتابها: (فلسفة اللغة عند الفارابى).

حتى يتسنى لنا إدراك مدى تأثيره على أجيال المفكرين والفلاسفة والأسباب التى من أجلها كان هذا الكتاب موضع إعجاب هؤلاء المفكرين شرقا وغربا.

نسخة الكتاب الخطية ـ والتى تعد فى الغالب هى النسخة الوحيدة ـ موجودة فى المكتبة المركزية فى جامعة طهران بإيران. وقد قام بتحقيقها تحقيقا غاية فى الدقة الدكتور محسن مهدى، وقد علق عليها بكثير من التعليقات المفيدة، وقدم لها ووضع الكثير من الفهارس وعناوين الفصول. وقد نشر هذا التحقيق عام ١٩٦٩م (ألف وتسعمائة وتسعة وستين ميلادية) عن دار الشرق ببيروت.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب، يتضمن كل باب مجموعة من الفصول بلغت كلها ثلاثة وثلاثين فصلا.

ويمكن القول بأنه كانت توجد أسباب تاريخية دفعت الفارابى إلى تأليف هذا الكتاب؛ إذ أننا نجد الكثير من المحاورات التى كانت تتم بين أنصار النحو واللغة من جهة وانصار المنطق من جهة أخرى، وذلك على النحو الذى نجده واضحا فى كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى والذى نجد فيه الكثير من المناقشات والجدل العنيف الذى كان يحدث بين المشتغلين بالنحو وعلم اللغة وبين المتبحرين فى المنطق والفلسفة، إذ أن كل فريق كان يوجه الكثير من أوجه الطعن إلى الفريق الآخر.

ومن هنا نجد الفارابى حريصا فى كتابه هذا: (كتاب الحروف) على عقد الكثير من الصلات بين الجانب اللغوى من جهة والجانب الفلسفى من جهة أخرى. ولعل هذا يتضح من عنوانه من جهة ومن استعراض فصوله كما سنرى بعد قليل، من جهة أخرى، فهذا الكتاب إذن يعد فريدا فى بابه، إذ قلما نجد فلاسفة اهتموا ببيان الصلة بين الجانبين، بل إن أهميته تكمن فى كونه يبحث فى العلاقات بين الجانبين، الجانب اللغوى والجانب الفلسفى، بالإضافة إلى أنه يكشف لنا عن رأى الفارابى فيلسوف المشرق العربى، حول بعض المشكلات الفلسفية ومنها على سبيل المثال مشكلة التوفيق بين الدين والفلسفة.

ولابد من القول بأن الفارابى ـ شأنه فى ذلك شأن ما نجده فى كتبه الأخرى ـ قد استفاد من فلاسفة اليونان الذين سبقوه استفادة كبيرة وخاصة أرسطو؛ إذ أن القارىء لكتاب (الحروف) يجد أنه أقرب كتب الفارابى إلى كتاب (الميتافيزيقا) أى ما بعد الطبيعة لأرسطو. بل إن تسمية الفارابى لكتابه بالحروف تعد هذه التسمية نوعا من التأثر بأرسطو، إذ لا يخفى علينا أن كتاب مابعد الطبيعة لأرسطو مقسم إلى أقسام أو مقالات حسب أحرف الهجاء اليونانية (الفا وبيتا وجاما) وهذا ما فعله الفارابى حتى يقسم الكثير من فصول كتابه حسب أحرف كحرف «أى» وحرف «كيف» وحرف «هل» وحرف «متى» وهكذا، وليس هذا فقط ما يعد دليلا على تأثر الفارابى بالفيلسوف اليونانى أرسطو، بل إنه ـ كما سبق أن ذكرنا منذ قليل ـ يتأثر بأرسطو فى عديد من الآراء التى توصل إليها.

وإذا كان كتاب (الحروف) يتضمن ـ كما أشرنا ـ ثلاثة وثلاثين فصلا، فإننا نستطيع القول بأن الموضوعات التى يبحث فيها الفارابى خلال ثنايا هذه الفصول إنما تعد موضوعات فلسفية تارة ولغوية تارة أخرى، وقد يكون ذلك محاولة من جانبه للربط بين اللغة والمصطلحات العلمية من جهة وبين المنطق والفلسفة الإلهية بصفة خاصة من جهة أخرى.

ويخصص الفارابى الباب الأول من الأبواب الثلاثة التى نجدها فى كتاب (الحروف) للبحث فى الحروف وأسماء المقولات، أى ما يقال على الوجود فنجده فى فصول عديدة من فصول هذا الباب يبحث فى الجوهر والذات، وأيضا يفرق بين العديد من العلوم والصناعات كعلم المنطق، والعلم الطبيعى، والعلم الإلهى، وصناعة الخطابة، وصناعة الشعر.

بل إنه يبحث فى العديد من التفصيلات والجوانب الجزئية الخاصة بكل علم من هذه العلوم سواء كان علما من العلوم النظرية أو كان من العلوم العملية فنجده ـ على سبيل المثال ـ حين يبحث فى «النسبة» يبين لنا معانيها المختلفة المتعددة، عند المهندسين، وعند الرياضيين، وعند المشتغلين بالمنطق، وعند الباحثين فى علم النحو.

بل ويحاول الفارابى عقد مقارنات بين معانى المصطلحات الفلسفية فى لغة العرب وبين معناها فى اللغات الأخرى كاللغة اليونانية، ومن هذه المصطلحات مصطلح «الوجود» إنه يبين معناه ويقارن بين ما يعنيه العرب بهذه اللفظة أو ذلك المصطلح وبين معناه عند أمم كثيرة. وهذا إن دلنا على شىء فإنما يدلنا على أن الفارابى لم يكن مكتفيا بنقل التراث الفلسفى اليونانى، بل كان يجتهد فى المقارنة بين هذا التراث وبين التراث الخاص بالشعوب العربية.

والواقع أننا نجد فى هذا الكتاب العظيم شروحا وافية لكثير من المصطلحات العلمية والفلسفية سواء فى اللغة العربية أو فى لغات أخرى غير العربية كاللغة اليونانية واللغة السريانية، كما نجد فى هذا الكتاب الكثير من الدراسات حول أصل اللغة وعلاقتها بالدين من جهة وبالفلسفة من جهة أخرى.

هذا عن الباب الأول، أما الباب الثانى فإن الفارابى يبحث فى فصوله العديدة فى كثير من الموضوعات التى تعد أقرب إلى الفلسفة منها إلى اللغة وهذا يعد دليلا على ما سبق أن أكدنا عليه فى بداية دراستنا لهذا الكتاب من أن هذا الكتاب لا يبحث فى موضوعات لغوية فحسب كما قد يتبادر إلى الأذهان من كلمة (الحروف) التى تعد عنوانا لكتاب (الحروف)، بل إنه يبحث فى العديد من الموضوعات الفلسفية والتى تعد غاية فى الأهمية، وهذا الاتجاه من جانب الفارابى لبحث الكثير من المشكلات الفلسفية فى فصول هذا الكتاب هو الذى جعل له أهمية كبرى عند من أتوا بعد الفارابى.

إن الفارابى يبين لنا فى هذا الباب الصلة بين الدين والفلسفة، ويفرق بين الأديان المنزلة والأديان غير المنزلة، كما يحدد الفروق بين الأساليب السوفسطائية، والأساليب الجدلية، والأساليب الإقناعية والخطابية، والأساليب البرهانية، ونستطيع القول بأن الفارابى فى تحديده للفروق بين كل أسلوب منها والآخر إذا كان قد تأثر بأرسطو الفيلسوف اليونانى إلا أنه أعطانا الكثير من الأمثلة والتفصيلات التى لانجد بعضها عند أرسطو وخاصة إذا وضعنا فى

الاعتبار أن الفارابى أمام كل أسلوب من هذه الأساليب يضع أمامه طبقة من الناس تسعى لاستعماله.

نوضح ذلك بالقول بأن الأساليب السوفسطائية تسعى إلى المغالطة، وعلى ذلك فإن من يستعمل هذه الأساليب يكون قصده الانتصار على الخصم فى الرأى عن طريق اتباعه المغالطة. **وهذا هوالفهم الخاطئ والشائع.**

أما الأساليب الجدلية فإن معظم من يستعملها هم المتكلمون، أى الفرق الكلامية فى الإسلام كالمعتزلة والأشاعرة. إن بحوثهم كلها تعد أساليب جدلية. بمعنى أن كل فرقة حين كانت ترد على الفرقة المخالفة لها فى الرأى تتبع أسلوبا جدليا يتمثل فى قولها: فإن قالوا بكذا ـ أى أصحاب الفرق الذين يقومون بالرد عليه ـ فإننا نقول بكذا، أى أنه أسلوب الجدل: جدل كل فرقة من المتكلمين مع الفرقة الأخرى التى تخالفها فى الرأى والمذهب والاتجاه.

أما الأساليب الخطابية والتى تسعى إلى إقناع الناس، فإنها خاصة بالجمهور وعامة الناس إذ أنهم لا يستطيعون فهم الأساليب الجدلية التى يستعملها المتكلمون، كما لا يستطيعون أيضا إدراك الأساليب التى يتمسك بها الفلاسفة؛ إذ أنهم أقل مرتبة من المتكلمين من جهة ومن الفلاسفة من جهة أخرى.

هذا عن الأساليب السوفسطائية والجدلية والخطابية، أما الأساليب البرهانية فإنها تعد خاصة بالفلاسفة الذين يعتبرون بالنسبة للأسلوب الذى يتبعونه ـ أى الأسلوب البرهانى ـ أعلى مرتبة من العامة ومن المتكلمين أيضا.

كما يبحث الفارابى فى هذا الباب أيضا الفرق بين الملة الصحيحة والملة الفاسدة، والأسباب التى من أجلها ينهى البعض عن الاشتغال بالفلسفة، وهكذا إلى آخر الموضوعات الهامة التى نجدها بين ثنايا الفصول التى يتكون منها الباب الثانى من أبواب كتاب (الحروف).

أما الباب الثالث والأخير من كتاب الفارابى والذى يتكون من ثمانية فصول، فإن الفارابى يبحث فيه الكثير من الحروف ويبين لنا دلالتها الفلسفية

كحرف (هل) وحرف (كيف) وغيرهما من حروف، كما نجد الفارابى يفرق لنا تفرقة دقيقة بين العلم الإلهى والعلم الطبيعى؛ إذ أن موضوع العلم الإلهى لا يتعلق بالمادة، أى أنه مفارق للمادة تماما، وهذا على العكس من موضوع العلم الطبيعى، إذ أن العلم الطبيعى يبحث أساسا فى مواد الأشياء.

بعد هذا نود الكشف عن أثر هذا الكتاب الممتاز عبر الزمان، وسنرى كيف أن هذا الكتاب قد أحدث أثرا كبيرا فى تشكيل وجهات النظر عند كثير من المفكرين والفلاسفة الذين اطلعوا على فصول هذا الكتاب، سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة. كما يوجد أوجه تشابه بين مباحث هذا الكتاب ومباحث كتب أخرى أُلفت قبله وأُلفت بعده.

فلو بدأنا بالمشرق العربى وجدنا ابن سينا الذى يعد تلميذا للفارابى، لقد تتلمذ على كثير من كتب الفارابى، واعترف بأنه لولا الفارابى لما أمكنه فهم الكثير من الموضوعات والمشكلات الفلسفية. إن المقارن بين كتاب (الشفاء) لابن سينا وخاصة القسم الإلهى فى هذا الكتاب، وبين كتاب (الحروف) يجد أن ابن سينا قد تأثر بالفارابى تأثرا كبيرا. فإذا كان الفارابى فى تأليفه لكتاب (الحروف) قد تأثر بأرسطو فإن تلميذه ابن سينا لم يتأثر بأرسطو فقط بل إنه تأثر بأستاذه الفارابى بحيث يمكن القول بأنه لولا بحث الفارابى لكثير من الموضوعات فى كتابه (الحروف) لما أمكن لابن سينا أن يدرس بعض الموضوعات فى كتابه الإلهيات من (الشفاء) وخاصة تلك الموضوعات التى تتعلق بالجانب اللغوى من قريب أو من بعيد، وقد سبق أن أشرنا أن الفارابى فى كتابه (الحروف) قد أثار الكثير من الموضوعات اللغوية، والتى قلما نجدها عند فيلسوف أو مفكر آخر سبق الفارابى.

وإذا انتقلنا من ابن سينا إلى إخوان الصفاء[1] وجدنا أن تحليل الرسائل التى كتبها لنا إخوان الصفا يكشف لنا عن وجود تشابه مع كتاب (الحروف) الذى وضعه الفارابى، إن إخوان الصفا كانوا كثيرا ما يدرسون الموضوعات الفلسفية من خلال علاقتها بالجانب اللغوى من جهة والجانب الرياضى من جهة

(١) اقتصرنا على ذكر مجموعة من الأمثلة والنماذج ولم نلتزم فى ذكرنا لها بالجانب التاريخى.

أخرى، وهذا يكشف عن التشابه بين اهتمامات الفارابى واهتماماتهم فى العديد من الرسائل.

بل إن المقارن بين ما بحث فيه إخوان الصفا والذى يتعلق بالعلوم الرياضية وبين ما كتبه الفارابى عن علوم التعاليم، أى الرياضيات، يجد تشابها بين مباحث الفارابى ومباحث إخوان الصفا

وإذا انتقلنا من فرقة فلسفية كفرقة إخوان الصفا إلى مفكر مشرقى آخر هو الغزالى، وجدناه هو الآخر قد تأثر سواء فى كتبه المنطقية كمعيار العلم، أو فى كتبه التى يعرض فيها لمذاهب الفلاسفة أو ينقدهم فى آرائهم بكتابه (مقاصد الفلاسفة) وكتابه (تهافت الفلاسفة) نقول: نجد الغزالى قد تأثر فى دراساته بالكثير من الجوانب التى بحثها الفارابى فى كتاب (الحروف).

وما يقال عن ابن سينا وإخوان الصفا والغزالى يقال عن مفكر كانت كتاباته مزجا بين الفلسفة والأدب، وهو أبو حيان التوحيدى. فإذا رجعنا إلى كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى وجدناه يثير العديد من الموضوعات المتعلقة بالصلة بين علم اللغة من جهة والمنطق والفلسفة من جهة أخرى، ونجد هذا بصفة خاصة فى الجزء الأول من كتاب (الإمتاع والمؤانسة) وهذا جانب سبق أن بحث فيه الفارابى، حين تحدث فى كتاب (الحروف) عن أصل اللغة وكيف تنشأ والعلاقة بينها وبين الفلسفة والدين.

وما نجده فى كتاب (الإمتاع والمؤانسة) نجده فى كتاب آخر لأبى حيان التوحيدى وهو كتاب (المقابسات) وجدنا أبا حيان التوحيدى فى تحديده لكثير من معانى المصطلحات العلمية والفلسفية، يتأثر بالفارابى فى أكثر من جانب من الجوانب التى بحث فيها فى كتابه.

بل إننا نجد عند فيلسوف مشرقى آخر ـ تعد أفكاره على جانب كبير من العمق والدقة، وهو أبو البركات البغدادى ـ تأثرا بكتاب (الحروف) للفارابى فأبو البركات البغدادى قد ترك لنا كتابا عظيما وهو كتاب (المعتبر فى الحكمة)

وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: قسم خاص بالمنطق، وقسم خاص بالطبيعيات، وقسم ثالث خاص بالإلهيات.

والمقارن بين كتاب أبى البركات البغدادى ـ وخاصة فى القسم الخاص بالمنطق ـ يجد تأثرا من جانب أبى البركات بالفيلسوف المشرقى الفارابى وخاصة فيما يتعلق بكتاب (الحروف).

وما يقال عن أبى البركات البغدادى يقال عن متكلم يعد أشعرى الاتجاه وهو فخر الدين الرازى، لقد تأثر فخر الدين الرازى تأثرا كبيرا بكتاب (الحروف) للفارابى؛ فالدارس لأهم كتاب تركه لنا فخر الدين الرازى وهو كتاب (المباحث المشرقية) لا يعدم وجود تأثر من جانبه بالموضوعات التى بحثها الفارابى فى كتاب (الحروف).

إن كتاب (الحروف) لم يكن أثره قاصرا على المشرق العربى فقط، وعند المفكرين الذين ذكرناهم، بل إن أثر هذا الكتاب قد تجاوز المشرق إلى المغرب العربى، وهذا إن دلنا على شىء فإنما يدلنا على أهمية هذا الكتاب، إذ أن كل كتاب يتحدد أهميته بمقدار تأثيره فى عدد من المفكرين فى أرجاء العالم، وكتاب (الحروف) لم يكن مؤثرا على مفكرى المشرق فقط بل سنرى كيف أثر فى بلورة كثير من الأفكار التى قال بها عديد من مفكرى وفلاسفة المغرب العربى.

فإذا بدأنا بابن باجه الفيلسوف الأندلسى وجدناه قد تأثر بكثير من الأفكار الموجودة بين ثنايا كتاب (الحروف) فقد ترك لنا ابن باجه الكثير من الرسائل المنطقية والتى لايزال أكثرها مخطوطا، وإذا بحثنا فى هذه الرسائل المنطقية وجدنا الكثير من أفكار الفارابى تتردد فى كتابات ابن باجه، وخاصة فى المواضع التى يحدد فيها ابن باجه معانى الكثير من المصطلحات اللغوية والعلمية والفلسفية.

ولم يكن أثر كتاب (الحروف) على فكر ابن باجه مقتصرا على الجوانب المنطقية فحسب، بل إننا لا نعدم وجود كثير من الأفكار الفلسفية التى بحث فيها الفارابى فى كتاب تدبير المتوحد لابن باجه، والواقع أن ابن باجه قد تأثر

بالفارابى تأثرا كبيرا، بحيث يمكن القول بوجود كثير من أفكار الفارابى فى كتابات ابن باجه. إن الفارابى هو الفيلسوف المفضل عند ابن باجه. وكل من الفيلسوفين قد اهتم بالدراسات المنطقية، وإذا كان للدراسات المنطقية نصيبها الكبير فى فصول كتاب (الحروف) للفارابى، فإنها كانت أيضا موضع اهتمام ابن باجه فى كثير من الكتب والرسائل التى تركها لنا.

وإذا أردنا متابعة تأثير كتاب الفارابى عبر الزمان وجدنا مفكرا أندلسيا آخر قد عرف كتاب (الحروف) للفارابى معرفة جيدة وتأثر به، هو أبو العباس بن موسى الصنهاجى المعروف بابن العريف والذى توفى فى المغرب العربى فى القرن السادس الهجرى. إن المطلع على المسائل المنطقية التى ينسب تأليفها إلى ابن العريف، يجد تأثرا من جانبه ببحوث الفارابى فى كتاب (الحروف) وخاصة فى الفصل الذى بحث فيه الفارابى فى موضوع الأسئلة الفلسفية وحروفها.

بل يمكن القول بأن كتاب (الحروف) قد ترك أثره على مفكر مغربى أندلسى آخر وهو ابن طفيل. فإذا رجعنا إلى الكتاب الوحيد الذى وصل إلينا من كتابات ابن طفيل، وهو كتاب (حى بن يقظان) وجدنا نوعا من أنواع التأثر من جانب ابن طفيل بكثير من أفكار الفارابى فى كتاب (الحروف) وخاصة فى المواضع التى بحث فيها الفارابى الصلة بين الدين والفلسفة، فالمقارن بين هذه الأفكار، وبين محاولة ابن طفيل الخاصة بالتوفيق بين الشريعة والفلسفة، يجد أن ابن طفيل فى تحديده للفروق بين شخصية «أبال» الذى يقترب منهجه من منهج الفيلسوف، وشخصية «سلامان» الذى يتبع طريق الجمهور، يجد أن ابن طفيل كان مستفيدا من الفارابى، إذ أن الفارابى ـ كما سبق أن بينا فى تحليلنا لكتاب (الحروف) ـ قد فرق بين المسلك البرهانى الذى يسير عليه الفيلسوف وبين المسلك الخطابى الإقناعى الذى يسير عليه الجمهور، أى العامة.

ونود أن ننتقل الآن من ابن طفيل إلى فيلسوف مغربى آخر جاء بعد ابن طفيل، وهو ابن رشد. لقد كان تأثر ابن رشد بكتاب الفارابى: كتاب (الحروف) تأثرا كبيرا، لقد عرف ابن رشد كتاب (الحروف) معرفة تامة وأشار إليه واستفاد منه فى كثير من المجالات التى بحث فيها.

فإذا كنا قد أشرنا إلى أن كتاب (الحروف) للفارابى إنما يكشف عن تأثر مؤلفه «الفارابى» بكتاب (الميتافيزيقا) أو ما بعد الطبيعة لأرسطو، فإن الدارس لكتاب (الميتافيزيقا) لابد أن نتوقع من جانبه تأثرا بالفارابى، وهذا ما حدث بالنسبة لابن رشد. إننا نجد ابن رشد يقتطف من كتاب (الحروف) الكثير من العبارات، وهذه العبارات موجودة فى أكثر من كتاب من كتب ابن رشد، ومنها على سبيل المثال كتاب (تلخيص ما بعد الطبيعة) وكتاب (تفسير ما بعد الطبيعة) إن كثيرا من المواضع الفلسفية والمواضع المنطقية التى بحث فيها ابن رشد أثناء شرحه لكتاب (مابعد الطبيعة) لأرسطو، نجد فيها تأثرا من جانب ابن رشد، كان أثناء تفسيره لكتب أرسطو يرجع إلى كثير من الكتب التى تشرح وتعلق على كتب أرسطو، ومن هذه الكتب كتاب (الحروف) للفارابى، بل إن ابن رشد يذكر اسم (كتاب الحروف) صراحة ويذكر اسم مؤلفه الفارابى، وذلك فى كتاب (تهافت التهافت) الذى ألفه ابن رشد إلى الفارابى وكتابه (الحروف)، أثناء شرحه لكتاب (البرهان) لأرسطو.

والواقع أننا نجد آراء الفارابى تتردد فى كثير من المواضع التى يبحث فيها ابن رشد، ليس المشكلات الفلسفية فحسب بل الجوانب المنطقية أيضا، فكثيرا ما نجد ابن رشد يشير إلى كتاب (الحروف) أثناء دراسته لأنواع القياس، وفى تفرقته بين القياس الجدلى والقياس البرهانى، إلى آخر هذه المجالات التى إن دلتنا على شىء فإنما تدلنا على أن أثر الفارابى من خلال الأفكار الموجودة فى كتاب (الحروف) كان عظيما على ابن رشد الفيلسوف المغربى الأندلسى.

وإذا كان الفارابى قد بحث ـ كما سبق أن أشرنا ـ فى صلة اللغة بالمجتمع وفى مخارج الحروف، فإننا نجد أثر هذا على فيلسوف عاش بقرطبة من بلاد الأندلس، وهو الفيلسوف موسى بن ميمون.

إن ابن ميمون يشير إلى رأى للفارابى حول كيفية نطق الحروف باختلاف البلدان، ويذكر الفارابى ويذكر كتاب (الحروف) صراحة.

والواقع أن كتاب (الحروف) لم يقتصر أثره على هؤلاء المفكرين فقط، بل

إننا لو أردنا متابعة أثره لوجدنا أن الأفكار الموجودة فيه تتردد بصورة أو بأخرى وبطريقة مباشرة تارة وغير مباشرة تارة أخرى عند فلاسفة المسيحية، كالبرت الكبير فيلسوف العصور الوسطى المسيحية الذى أضاف إلى تأثره بأرسطو تأثرا من جانبه بآراء الفارابى الموجودة فى كتاب (الحروف) والقديس توما الإكوينى فى دراسته للوجود والماهية وتحديده لمعانى كثيرة من المصطلحات الفلسفية، وهذه جوانب سبق للفارابى أن قام بتحليلها تحليلا غاية فى الدقة فى الكتاب الذى نكشف عن أهميته اليوم: كتاب (الحروف).

ومعنى هذا أننا نجد آراء الفارابى الموجودة فى كتاب (الحروف) قد ترددت بلا انقطاع عند المفكرين والفلاسفة الذى أتوا بعده سواء عاشوا فى المشرق أو عاشوا فى المغرب. وهذا يدلنا على عمق هذا الكتاب الذى يعد أعظم كتاب تركه لنا الفارابى فيلسوف المشرق العربى. هذا الكتاب الذى ترك بصمات واضحة وظاهرة على فكر كثير من المفكرين. لقد بذل الفارابى جهدا، وجهدا بارزا وخاصة فى هذا الكتاب، واستحق أن يدخل تاريخ الفلسفة من أوسع أبوابها.

نعم لقد جاء هذا الكتاب ـ رغم اختلافنا مع الفارابى فى بعض الآراء التى قال بها ـ معبراً عن وقفة اجتهادية تنويرية. وقفة مستقبلية، وقفة يدعونا من خلالها إلى الانفتاح على أفكار الآخرين: الانفتاح على فكر اليونان. صحيح أن الفارابى قد تأثر بالسابقين، ولكن هذا التأثر قد جاء فى حد ذاته معبراً عن جانب مستقبلى تنويرى، فهل يفهم هذا الدرس أناس مازالوا يعيشون بيننا الآن ومن أشباه الأساتذة وأشباه المثقفين والذين يحلو لهم الحديث عن الغزو الثقافى والهجوم على الحضارة الأوربية؟!!!.

* * *